لوحة الشيطان

انس عسري

Moroccan Writers ©

جميع الحقوق محفوظة

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو تخزين مادته

بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء

كانت إلكترونية أو ورقية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو

خلاف ذلك إلا بموافقة خطية من المؤلف مقدّما

Moroccan Writers ©

يتحدثون عن حيواتهم البائسة، ثم يتكلمون عن العائلة والأصدقاء الذي يشاركونهم أياها ... لديهم الثراء، والحياة الراغدة، والمسكن الراق، ثم يقولون أن السعادة لا تكمن في المال ... يعملون في وظائف محترمة، مجزية، ثم يتذمرون، ويتنابحون بأنهم ضيعوا أعمارهم في وظائف لا تليق بعبقريتهم ... في الواقع أنهم يمتلكون كل شيء، ومع ذلك تواتيهم الجرأة ليصرحوا بشكواهم علانية، ماذا تركوا لأمثالنا؟ لو كانوا يبحثون عن تعريف للحياة البائسة، فعليهم أن ينظروا إلى حياتي، أنا شخص في أواخر العقد الثالث من العمر، بلا عائلة، ولا أصدقاء، يحمل شهادة تعليمية متوسطة، ويعمل في وظيفة مهينة، مملة، بلا أي أمل في الترقي، يعيش في غرفة حقيرة على سطح بناية من عشرة أدوار بلا مصعد، يحمل ماضي ملئ بالبؤس، والكوارث، وحاضر مرير، ولا يرتجي شيئا من المستقبل ... هذه هي الحياة البائسة أيها الملاعين.

ها قد حلَّ الصباح فلننطلق

مسعود)، أيها الجاهل، القهوة زائدة السكر، كم مرة قلت لك أنني أشربها بنصف ملعقة فقط)

- آسف يا سيدي

حملت القدح، وتوجهت إلى المطبخ، وأنا ألعنه في سري، هذا الوغد يصر دائما على إهانتي أمام الجميع، ويجعلني أبدو كالأحمق ... تلك هي وظيفتي، عامل بالمطبخ في شركة للاستشارات الحسابية وأعمال التدقيق والمراجعة، أصنع مشروبات، وأجلب طلبات، ومأكولات لمجموعة من الموظفين، المتعالين، يرتدون البذل الأنيقة، ليخفون بها حقيقتهم السطحية، وشخصياتهم الجوفاء، والأسوء منهم طرا، هو رئيسهم اللعين، هذا الذي لا يستطيع أن يبدء يومه، دون أن يصيبني بلسانه السليط ... لا شئ جديد، أنه يوم آخر من روتين حياتي الكريه.

صنعت كوبا خاصا من (النسكافيه)، استخدمت فيه كل براعتي وخبرتي المهنية، صببته في كوب من الخزف، كان أبيضا وعليه رسمة قلب أحمر، يخترقه سهم (كيوبيد) اللعين، كان مناسبا تماما لما أشعر به في تلك اللحظة، وضعته فوق صفحتي النحاسية، عدلت قميصي الرمادي، وتأكدت أن شعري مصففا، ثم توجهت إليها، وضعته على مكتبها، لم تنتبه لي في البداية، وهي مستغرقة في العمل على تلك الجداول والمنحنيات البيانية على شاشة الحاسوب أمامها، كانت جميلة كعادتها، ملاك برئ، وسط طغمة من الشياطين القبيحة ... أخيرا، انتبهت إلى وجودي بجوارها، وتحديقي فيها، فقالت بصوت عذب، رقيق:

- مسعود)، ماذا تريد؟)

- (النسكافيه)، يا آنسه (رانية)

- شكرا لك

Moroccan Writers ©

تناولت الكوب من صفحتي النحاسية بيدها، ارتشفت منه رشفة واحدة، قصيرة، تركت شاربا أبيض دقيق فوق شفتيها، زاد من جمالها، أشارت لي بإبهامها دلالة على إعجابها بصنيعي، فأومأت لها برأسي، عادت لعملها لبضعة ثوان، قبل أن تنتبه إلى أنني ما زلت متسمرا إلى جوارها، فعقدت حاجبيها بطريقة طفولية، محببة، وهي تقول بخجل:

- هل هناك شيئا آخر يا (مسعود)

أعشق طريقة نطقها لاسمي، كانت تنطقه بطريقة تنسيني بها مدى كراهيتي له ولبؤسه الذي يحمله، هذا الاسم الذي يبدو كنكتة أو سخرية من حالي، قلت لها:

- .لقد اشتريت لوحة بالأمس

أعرف أنها تهتم بالفنون، أسمعها دائما تتحدث عن عشقها للفن بكل أنواعه ... زاد انعقاد حاجبيها وهي تتساءل في دهشة:

- لوحة!؟

- .أجل ... اشتريتها من معرض للتحف في آخر الشارع

قلتها، وأخرجت هاتفي المحمول لأريها صورة اللوحة الضخمة التي تزين جدار من جدران غرفتي الضيقة، فتأملتها للحظات بدهشة، قبل أن تقول بإعجاب:

- .إنها جميلة

صمتت لثوان، وهي تتأمل اللوحة بعين فنان، قبل أن تردف:

- .(تذكرك بلوحات (فان جوخ ... لم أكن أعرف أنك تهتم بالفن يا (مسعود

ابتسمت في بلاهة، وأنا أجيب:

- .وأنا أيضا

حدقت مرة أخرى في صورة اللوحة، ثم تساءلت:

- إنها قديمة، تبدو لي كتحفة فنية، بالتأكيد دفعت فيها ثروة!؟

- .بالعكس كانت رخيصة للغاية، شعرت أنني لو فاصلت قليلا مع صاحب المعرض، لمنحني إياها مجانا

- .هذا معرض رائع، بالتأكيد سأزوره

مطت شفتيها، وألقت نظرة أخيرة على اللوحة، ثم أعادت لي الهاتف المحمول، وهي تسأل:

-أي مدرسة فنية تفضل؟

- .جميعها

:أطلقت ضحكة مرحة، قبل أن تتساءل في دهشة

- تقول أن هناك معرض للتحف في آخر الشارع ... عجيب، كيف فاتني رؤيته!؟

في الواقع أنا أيضا لم أره قبل الأمس، رغم أن هذا الطريق هو طريقي إلى المنزل، أسير فيه كل يوم مرتين، :قادما من المنزل، وعائدا إليه، قلت لها

- .وأنا أيضا ... قد يكون افتتح مؤخرا

ريف النمسا – نهايات القرن الثامن عشر

نظر إلى صورته في المرآة الجدارية العملاقة ذات الإطار الذهبي ... تساءل، عمن يحدق فيه الآن عبر زجاج المرآة من الناحية الأخرى، هل هو نفسه!؟ أم هو شخص آخر أصابه الخبال فدمر حياته! ... إنه لا يستطيع التعرف على صورته فيها، لقد تغيرت ملامحه كثيرا، واختفت خلف إمارات الكآبة، والجنون ... لقد أصابته اللعنة، وهو يعرف مصدرها، وسيتخلص منها حتى لو كان ذلك آخر شيء يفعله في حياته ... نظر إلى فراشه، كانت زوجته مسجاة فيه على ظهرها، تحدق بعينيها المفتوحتين إلى سقف الغرفة المرتفع، وهناك خطوط وكدمات زرقاء على رقبتها، إنها آثار أصابع، أصابع خنقتها، واعتصرت رقبتها بجنون وحنق وانتزعت الروح من جسدها البريء منذ دقائق قليلة قد مضت ... جلس على طرف الفراش إلى جوار جسد زوجته، أمسك بيدها يقبلها، ويتحسس وجهها البارد بيد مرتعشة، قبل أن ينخرط بحرقة في نوبة بكاء :هستيري، وهو يردد

- .آسف يا زوجتي الحبيبة

خرج من الغرفة بعد خمس دقائق، وهو يحمل عزما وإصرارا كبيرا على المضي فيما خطط له، كان القصر خاليا بعد أن هجره الجميع، أثر حوادث القتل المروعة التي حدثت في الأشهر الأخيرة في قصره، وضيعته والقرى المجاورة، وأشارت نحوه بأصابع الاتهام ... وحتى من آثر البقاء مع سيده، من الحرس والخدم الأوفياء، صرفهم هو بنفسه وطردهم من القصر، كانت زوجته هي الوحيدة التي أصرت على البقاء معه، ورفضت الرحيل رغم إلحاحه عليها، ورجاؤه لها بأن تذهب، فكان الموت هو جزاءها ... نزل الدرج بخطوات هادئة، كان قد ارتدى زيه الرسمي، ووضع سيفه في غمده، وعلق جميع نياشينه وأوسمته ... وقف للحظات يتأمل صورته الجدارية الضخمة المرسومة بألوان الزيت، تظهره في ملابسه الدوقية، وهو

ينظر نحو السماء، تلك النظرة المتعالية، أطلق ضحكة ساخرة متهكمة، ثم توجه إلى القبو الموجود أسفل القصر ... يعلم أنها النهاية، الجميع يتحدثون أن الدوق قد أصابه الخبال، وبدأ يقتل حراسه، وأهل ضيعته، ساعات قليلة، ويجمعون شملهم وعزمهم، ويفيضون إلى هذا القصر يحركهم الغضب والكراهية وسنوات طويلة من القهر، فيحرقوا هذا القصر بمن فيه، ولكن قبل أن يحدث هذا، عليه أن يحرقها هي أيضا، أجل سيحرق تلك اللوحة الملعونة بكل ما تحمله من شرور وآثام.

سار في السرداب الطويل المتصل بالقبو، حتى وصل إلى مجموعة من الزنازين، تلك التي كان يستخدمها في الماضي ليعذب فيها معارضيه وأعداءه، الآن هو يحتجز في أحداها تلك اللوحة الملعونة ... فتح باب الزنزانة بحذر، كانت اللوحة هناك في ركن من الزنزانة تستند إلى أحد الجدران الرطبة الصخرية، التي كانت شاهدة على العديد من جرائم التنكيل والتعذيب ... التقط المشعل المعلق على الجدار، وتوجه ناحيتها بخطوات مرتعشة، عليه أن يشيح بناظريه بعيدا عنها، فهو لا يأمن النظر إليها مرة أخرى ... وجه المشعل إلى نسيج اللوحة، ووقف يترقب أن تشب فيها النيران وتتحول إلى كتلة ملتهبة، فتلتهم النيران نسيجها، وشرها مخلفة بعض الرماد، ولكن هذا لم يحدث أبدا... نظر بعفوية، ودون قصد إلى اللوحة، فوجد أن خيوط النار تمتد من المشعل وتزحف عليها بنعومة، دون أن تحرقها، أو تترك فيها أثرا! إلا بقعة صغيرة من السخام في منتصفها، ألقى المشعل بغضب على الأرض، وأخرج سيفه من غمده، ورفعه تمهيدا لأن يمزق به اللوحة ... ولكن ما هذا؟.. لماذا تبدو بقعة السخام كأنها شكلا مرسوما ببراعة، لماذا تبدو كرجل في ملابسه الرسمية يرفع سيفه في عزم، والمرعب هو ذلك الوحش ذو قرنين، والرأس المستدق، والجسد العضلي العملاق، والأذرع التي تنتهي بمخالب طويلة مدببة، والذي يقف خلف ذلك الرجل متأهبا لافتراسه ... لماذا يشبهه هذا الرجل إلى تلك الدرجة؟.. فجأة يصل إلى مسامعه صوت خطوات ثقيلة تقترب من وراءه، لم يجرء على الالتفات، يعرف ما سيجده لو فعل ... وجه ناظريه إلى أسفل قدميه فرأى ظله، وظل ذلك الوحش العملاق، الذي رآه على اللوحة منذ ثوان، يسمع أنفاسه، ويشعر بلهيبها يحرق قفاه ... لقد قررت تلك اللوحة اللعينة التخلص منه أخيرا ... هي النهاية إذا، وعليه أن يأخذها معه ... أطلق صيحة قوية، وهو يهم بغرس سيفه في نسيج اللوحة، ولكنه لم يفعل!.. لم يفعل ذلك أبدا ... دوت صرخة متألمة، متعذبة، تردد صداها في سراديب القصر، لم يسمعها أحد بالطبع، بعد أن خلا القصر تماما من قاطنيه.

شعرت بحيرة شديدة، فعندما اشتريت تلك اللوحة العجيبة، لم تكن البقع اللونية على نسيجها تمثل لي أي معنى مفهوم، أعجبت فقط بتدرج ألوانها، وبتلك الطريقة النقطية في مزج التركيبات اللونية العشوائية على نسيجها، أذكر أن هناك مدرسة فنية يتزعمها رسام شهير تشتهر بتلك الطريقة في رسم اللوحات لجعل محتواها مشوشا، غائما، وهذا يضيف المزيد من الغموض والعمق للعمل الفني، أنا لا أفهم شيئا عن الفن الحديث ولا عن أي فن آخر، قد تكون تلك الألوان تعبر عن شئ ما مكبوت، أو محشور داخل ضمير الفنان الذي رسمها لو كان موجودا وسألته الآن، لأجاب بأن هذه اللوحة، تمثل إرهاصات دخول الخريف على منبع ماء جبلي وتأثير ذلك على الفلسفة الكونية، أو انبثاق مشاعر الأمومة لدى زوجة الأب في موسم الطاعون الأسود ... المهم أنه عندما نظرت للوحة في المرة الأولى وهي معروضة خلف تلك الواجهة

الزجاجية، شعرت بأنها تناديني لشرائها، وبأن هناك شئ ما بها يدفعني للتخلي عن ثمنها من النقود القليلة التي أحملها في حافظتي، ولا أنكر أن الدافع قد يكون أيضا عشق الآنسة (رانية) للفن ومحاولتي لجعل هناك شيئا مشتركا بيني وبينها... العجيب أنه عندما أنظر لتلك اللوحة الآن وفي تلك اللحظة بالذات، أشعر بأنني أرى أشياء مفهومة، بقليل من الخيال يمكنني تخيل أن تلك البقع اللونية تمثل رجلا مقيدا إلى مقعده، وآخر يقف خلفه، ويجز رقبته بسكين حاد ... أيكون هذا بسبب إضاءة الغرفة الخافتة!؟ ... عجيب!.

****

اقتل ... اقتل ... اقتل!

أطلقت صرخة مفزعة، وأنا استيقظ من نومي دفعه واحده غارقا في بحر من العرق، كان الظلام يخيم على كل الموجودات حولي، مددت يدي بسرعة لأضئ المصباح من مفتاحه المتدلي إلى جوار فراشي، أخذت أبسمل، وأحوقل، وأنا أحاول استعادة رباطة جأشي ... إنه كابوس مفزع آخر؟ لماذا بدا لي حقيقيا إلى تلك الدرجة!؟... هذه هي المرة العاشرة التي يهاجمني فيها نفس الكابوس في الليال الثلاث الأخيرة فقط ... إنه كابوس من ذلك النوع المتداخل الذي لا يدرك فيه الإنسان هل هو مستيقظ حقا أم أنه نائم يحلم ... كابوس يبدء في غرفتي تلك، نائم على فراشي هذا، فجأة أشعر بحركة خفيفة، قبل أن أدرك يقينا أنني لست وحدي في الغرفة وأن هناك أشخاص أو أشياء أخرى تمرح فيها، ولكنني لا استطيع رؤيتهم بسبب ظلمة الغرفة، حينها يبدءون في الحديث إلي بتلك الأصوات الشيطانية، أصوات كهسيس الحيات والثعابين لا تفهم لها معنى، ولكنك تستشعر أن هناك كلمة ما تتخلل ذلك الهسيس، كلمة لا تستطيع أن تميزها، يتعالى الصوت، فيتحول إلى طنين مزعج يمزق أذني وخلايا مخي، حينها تتضح تلك الكلمة التي كانت تتخلل ذلك الصوت، إنها كلمة (اقتل ... اقتل!) ... هذا ما كان ينقصني لتكتمل دراما حياتي السوداء، أن اصاب بالخبال، أو أصبح مطاردا من الجن والشياطين ... كان الفجر قد آذن للصلاة، فقمت وتوضأت وصليت الفجر، وقررت ألا أعود للنوم، حملت كرسي خشبي من غرفتي، وخرجت به إلى السطح لأترقب بزوغ شمس الصباح، وأتأمل أشعة الشفق وهي تتخلل ظلمة السماء، فتحيل حلكتها، ضياء وأملا، كنت أعشق تلك اللحظات بحق، وأحرص على متابعتها كلما أتيحت لي الفرصة لذلك، وبخاصة من سطح بنايتي المرتفعة التي تناطح السماء، وكأن تلك الأجواء تحمل في داخلها وقودا خاصا أو طاقة تصلح لشحذ بطاريات روحي المنهكة، وبخاصة مع لسعة البرد المحببة التي تأتي مع هواء الصبح النقي، الذي لم تلوثه بعد أنفاس البشر.

عدت لغرفتي بعد أن عم الضياء الكون، وبدأت جميع الكائنات تخرج من أعشاشها، وديارها، وجحورها سعيا وراء رزقها، أشعر كأنني ولدت من جديد، يمكنني أن أحيا يوما آخر بعد حصولي على تلك الطاقة الروحية ... لقد أنستني لحظات ذلك الكابوس المرعب، وغيبته في ثنايا عقلي، وهو ماكنت أرجوه ...

Moroccan Writers ©

اغتسلت بسرعة، وارتديت ثيابي ... علي أن أكون في العمل بعد ساعة واحدة من الآن، وهذا يمنحني وقتا لتناول إفطاري في الطريق ... ألقيت نظرة على لوحتي الجديدة التي تحتل جدارا وحدها في غرفتي الضيقة ... شئ عجيب! بالأمس كنت استطيع أن ألمح صورا تمثلها التركيبات اللونية المتداخلة على سطح تلك اللوحة، أذكر أنها بدت لخيالي المريض، كشخص مقيد إلى مقعد، وآخر خلفه يجز رقبته بسكين حاد، لماذا اختفت الآن تلك الصورا؟ هل يكون ذلك بسبب اختلاف الإضاءة؟ أو زاوية الرؤية؟ أنا لست خبيرا في مثل تلك الأمور ... أخذت أدور حول اللوحة، أنظر إليها من أكثر من زاوية، أضيق عيني تارة، وأفتح المصباح وأغلقه تارة أخرى، دون جدوى، من الواضح أنني أعجز الآن عن رؤية أي صورة أو شكل له معنى مفهوم على سطح تلك اللوحة! .

****

(جوج مسمنات أ با حميد فيهم جوج فرمجات)

با حميد رجل عجوز مازال يقاتل في حلبة الحياة رغم ما بلغه من العمر عتيا يحمل في جسده الامراض ويحمل على كتفيه المسؤولية لا يمكن فعل شيء بالنهاية ، يفتح دكانه الصغير على الساعة السادسة صباحا في مكان تشتم فيه رائحة الطفولة وذكريات الشباب ، لا شيء تغير مزال سكان هذا الحي الفقير يأتون للإفطار كل صباح عند با حميد رائحة المسمن لا تقاوم ونسيم الشاي بخلطة العشوب السحرية تجلبك غصبا عنك فيتحلق عشرات ابناء الدرب للإفطار كما انه محل با حميد يعتبر موقعا للتواصل الاجتماعي لتبادل الاخبار والاشاعات والتنمر على العابرين والعابرات من أهل الحي لا أحد يسلم من القاعدة الصباحية هنا .

قال احد الواقفين بجانب المحل وهو ينهش صحنا من المسمن والحرشة

-هل سمعتم اخر الاخبار ؟

: اجابه خمسة اخرون في نفس واحد

لا

لقد قُتِل رضوان بائع المجوهرات ليلة البارحة

-هل كان ذلك بسبب السرقة ؟

- هل تم ضبط القاتل ؟

- في أي ساعة حصل ذلك ؟

Moroccan Writers ©

عشرات الاسئلة انهالت في المحل والكل يحلل ويناقش ويُفَّعِل نمط المحقق لقد صار الجميع شيرلوك هولمز فجأة !

: قال أحد الجالسين في المحل

- سمعت من قريب لي وهو (عزمي) يعمل بقسم الجريمة، أن القاتل ربطه وذبحه بوحشية دون أن يسرق شيئا، وأوصاني ألا أخبر أحدا بذلك، لآنهم يكتمون ذلك حتى لا يتسبب في أزمة.

:ثم توجه بحديثه للواقفين

- أرجوكم ألا تخبروا أحدا بما قصصته عليكم ... إنها أسرار لا يصح إفشائها.

كنت قد أنهيت إفطاري ، فأعدت الطبق البلاستيكي لي با حميد شاكرا إياه، وألقيت سلام على الواقفين، وابتعدت نحو عملي، وأنا ما زال أسمعهم يواصلون الحديث عن موضوع الصائغ رضوان المقتول:

- قد يكون ذلك بسبب الثأر، أو بسبب المنافسة المهنية، أو للكراهية أو لأي سبب آخر.

****

وضعت كوب (النسكافيه) على مكتب الآنسة رانية بعد أن جلبته لها دون أن تطلبه، في الموعد الذي تفضله كعادتها، أشارت لي بإبهامها الصغير بتلك الطريقة التي أعشقها، وابتسمت لي ابتسامتها الرقيقه، فرددت عليها بابتسامة حوت (الأوركا) التي تزيد وسامتي، فبادرتني:

- ما أخبار لوحتك الجديدة؟

- رائعة، كلما نظرت إليها رأيت أشياء جديدة.

- من عبقرية الفنان أن يجعل هناك أكثر من مستوى في قطعته الفنية، وبهذا كلما زاد عمق المشاهد، ومستوى مشاهدته، رأى أشياء جديدة.

:لم أفهم بالضبط ما تقصده بتعليقها الأخير، ولكنني أومأت برأسي في بلاهة وأنا أجيب

- عندك لحق.

:صمتت للحظة، ثم قالت بنعومة

-أريد أن أشاهدها على الطبيعة.

:أجبت بسرعة

Moroccan Writers ©

-.حسنا سأجلبها معي غدا

-.لا داعي لآن تتعب نفسك، فاللوحة تبدو كبيرة لتحملها إلى هنا ... سآتي بنفسي لمنزلك لأراها

لم أصدق ما تقوله، يا لها من ضربة حظ، لقد أسقطت تلك اللوحة في يوم واحد بيني وبينها، كل تلك السنين الضوئية التي كانت تفصلني عنها، تذكرت حالة غرفتي التي أسكن فيها، فأجبت بذعر:

-.أنا أعيش في غرفة متواضعة، لا تليق بك

: قالت بصوت يذيب القلب

- ومن قال لك أنني بنت وزير، أنا أيضا أعيش في منزل على قدر الحال، مع عدد كبير من الأخوة الذكور الذين يحولون أي مكان يتواجدون فيه إلى حظيرة للحيوانات ... لا تقلق لن أتفاجأ أبدا بما سأراه.

لم أعرف بماذا أرد، ولكن السعادة والترحاب أرتسمت بوضوح على وجهي، فأردفت هي بعذوبة، وهي تمد يدها لي بورقة بيضاء وقلم:

اكتب العنوان هنا، وموعدنا في السابعة مساء

***

معركة هائلة خضتها وحدي بالبالة والشطابة ! لم أكن أحسب أن غرفة صغيرة كغرفتي، يمكن أن تحوي تلك الأطنان من القاذورات، ولكنني انتصرت في النهاية، وطردتها من منزلي في مكان قصي في نهاية السطح، أحضرت بعض الحلوى، والعصائر، وزجاجة من معطر الهواء أفرغتها في جو الغرفة ... تلفت حولي في رضا، بدا المكان مقبولا إلى حد ما، على الأقل هو الآن يصلح لإقامة الكائنات العليا، كالقرود الأولية، مثل الشامبنزي، وقرد المكاك، وهذا في حد ذاته نصر كبير، فمنذ سويعات قليلة لم يكن هذا المكان يصلح حتى كحفرة لخنزير بري ... دق جرس الباب، فبدا صوته أعذب من أي لحن سمعته في حياتي ... فتحت الباب، فوجدتها تقف هناك في فستان أخضر جميل يمتد إلى ما دون ركبتيها، ويحيط بخصرها حزام أخضر، كلون عيونها، تعقص شعرها الأشقر للخلف بمشبك بنفس اللون، بدت جميلة، ندية كأنها نبتت الآن من الأرض البكر الخصبة للجنة ... تحدثت بصوتها العذب قائلة:

- .(أقدم لك (لعربي

Moroccan Writers ©

تنبهت في تلك اللحظة، إلى ذلك الثور الذي يقف بجانبها يبتسم في بلاهة، يرتدي قميص (كاروهات) وبنطلون جينز غير مكويين، له شعر أشعث، ولحية كشعره مهملة ... مد لي يدا خشنا، فصافحته ... قالت رانية) (:

- (لعربي) رسام محترف، وخبير فني، وأخصائي في ترميم اللوحات، وعنده مرسمه الخاص ... أثار فضوله حديثي عن لوحتك فجاء معي ليراها بنفسه

حدجته بكراهية للحظات، ثم سمحت لهما بالدخول، وأنا أقول

- .سامحاني ... المكان ضيق

:ثم سألتها وأنا أتظاهر بعدم الاهتمام

- هل الأستاذ (العربي) قريبك؟

:أجابتني بابتسامة

- .هو زميل من أيام الجامعة، يجمع بينا الاهتمامات الفنية فقط

كان (لعربي) قد سبقنا بخطوتين إلى الداخل، قبل أن تنطلق صرخته المندهشة، وهو يحدق في اللوحة :بذهول

- !مذهل ... إنها تحفة أصلية

****

سنة (1900) ... كان الشرطي (فيرنك كوسوث) يقوم بجولته الليلة المعتادة في ضواحي قلعة بودا من العاصمة بودابست المجرية ، كانت دوريتة في منطقة فارنيجيد الخالية هناك كانت الجولة هادئة كالمعتاد، الجو يحمل لسعة برودة محببة، القمر مكتمل يلقى بضوءه الفني فيضيف حياة خاصة إلى كل الأشياء، الشوارع المبطنة بحجر الرمادي، والقناديل الخافتة خالية من روادها في هذا الوقت، كل شئ كان طبيعيا ... هو يفضل الجولات الليلية فتلك الأجواء توقظ في باطنه وعقله أشجان وذكريات ومشاعر جميلة، أخذ يلف عصاته حول سبابته، وهو يطلق من فمه صفيرا منغما ... فجأة انطلقت تلك الصرخة الهائلة، قادمة من أحد المنازل القريبة ... بحاسته الشرطية المحترفة، حدد المنزل الذي جاءت منه الصرخة ثم اندفع إليه وهو يعدو بسرعة كبيرة ... كان المنزل كجميع منازل تلك الضاحية من طابقين ومحلات صغيرة، تحيط به حديقة صغيرة تظهر عليها آثار العناية والاهتمام، والحالة المادية المتيسرة لأهل المنزل، دفع الشرطي .(فيرنك باب الحديقة، وهو يلقي نظرة سريعة على اللوحة المعلقة بجانبه (منزل عائلة ستيفان

Moroccan Writers ©

:عبر الشرطي (فيرنك) الحديقة في خطوات سريعة، كان الباب الداخلي مواربا، فاقتحمه وهو يصيح

- ماذا يحدث هنا؟

:كان المكان مظلما، ولا أثر للحياة فيه ... أخرج الشرطي (فيرنك) مصباحه وهو يصيح بصوت عال

- هل يوجد أحد هنا؟

أضاء المصباح وأخذ يحركه في المكان بحثا عن أي إنسان، فجأة وقع ضوء المصباح على شئ أبيض معلق قرب السقف، لا إنهم ثلاثة أشياء، ركز الشرطي (فيرنك) مصباحه على تلك الأشياء قبل أن تنطلق منه :صرخة فزعة، وهو يقول

- .اللعنة

كانت تلك الأشياء، هي أمرأة مشنوقة من رقبتها ومعلقة بحبل خشن طرفه مربوط حول دعامة من دعامات سور الدرج في الطابق الثاني، وجسدها متدلي وقد فارقته الحياة، وبجوارها طفليها على نفس الحالة، مشنوقان إلى دعامتين أخرتين، وهناك آثار جروح ودماء تغطي مناماتهم البيضاء ... وصل إلى مسامع الشرطي (فيرنك) صوت حركة خافتة، يصدر من الطابق الثاني، فاندفع بسرعة يقفز فوق الدرج حتى :وصل إلى الطابق الثاني ... كانت هناك غرفة مضاءة في آخره فتوجه إليها مباشرة، ونظر داخلها

فرأى فيها رجل، يتكئ على إحدى قدميه وهو مطأطأ الرأس أمام لوحة معلقة على الجدار من تلك اللوحات التي يسمونها لوحات عصرية، اقترب منه الشرطي (فيرنك) بحذر بعد أن لاحظ أن جسده أيضا غارق في :الدماء، قبل أن يقول له

- سيدي ... هل أنت بخير؟

:التفت له الرجل ببطأ، ونظر إليه بعينين محتقنتين، قبل أن يقول بصوت مبحوح

- لقد قتلتهم ... قتلت زوجتي وطفلي؟

:أخرج الشرطي (فيرنك) مسدسه بسرعة، ووجه إلى الرجل وهو يقول بلهجة آمرة

- .استلق على بطنك ... لا تتحرك

:نهض الرجل على قدميه، وأشار بسبابته إلى اللوحة، وهو يقول

- !لا ... لست أنا ... إنها هي، هي التي فعلتها

:ثم توجه ناحية الشرطي (فيرنك)، الذي لمح في يده نصلا حادا، فصرخ فيه بلهجة قوية

Moroccan Writers ©

- .ألق هذا النصل، واستلق على الأرض فورا، هذه هي المرة الأخيرة التي آمرك فيها بذلك

: توقف الرجل، ثم ابتسم بمرارة ... حاول أن يتكلم ولكن الكلام احتبس في حلقه، فبادره الشرطي

- .عليك أن تهدء، كل شئ يمكن إصلاحه

هز الرجل رأسه نافيا، قبل أن يرفع ساعده الخالي، ويقطع أوردته بالنصل الحاد، ليسيل منها الدم ويغرق المكان

كان (لعربي) يقضي ليلته وحيدا في مرسمه كعادته، وسط لوحاته وألوانه، كان مازال يشعر بالحماسة، بعد رؤيته وفحصة لتلك اللوحة الأصلية في منزل ذلك الأحمق (مسعود) ... إنه موقن أنها لوحة أصلية، لا يصدق أن (مسعود) اشتراها بثمن بخس، بالتأكيد هو سرقها من مكان ما ... ما يثير حماسته أكثر هو شعوره بأنه قد رأى تلك اللوحة من قبل، وأنها تثير في روعه فزعا مبهما لا يعرف سببه ... لهذا جلس إلى حاسوبه ليبحث عن أصل تلك اللوحة، بمقارنة صور اللوحات من المواقع الشهيرة بتلك الصور التي التقطها للوحة بهاتفه المحمول ... فجأة عثر على رابط يحتوي على صورة مطابقة، ففتحه بسرعة وقرأ ما فيه، قبل أن ينتصب شعر رأسه من الرعب، ويشعر بتلك الرعشة الباردة تسري على عموده الفقري وأطرافه، تمتم بصوت خفيض:
-.اللعنة، إنها (فوجار)، يجب إخبار (رانية) بذلك
فجأة، سمع صوت شئ يسقط على الأرض في الزاوية المظلمة من المرسم، أرجف (لعربي)، ونهض من على مكتبه، وتوجه بخطوات مرتعدة ناحية الصوت، قبل أن تقع عيناه على (باليتي) ألوان من تلك التي تستخدم في الرسم، كانت ساقطة على ملاط المرسم، يبدو أنها سقطت من على اللوح الذي كانت معلقة عليه... تنهد (لعربي) بارتياح، ولعن بحماقته لشعوره بالفزع بتلك الطريقة وهو في هذا السن، وبهذا الجسم ... في تلك اللحظة تحرك ذلك الظل المرعب خارجا من الركن المظلم، كان أول ما وقعت عينا (لعربي) عليه هي تلك القدم العملاقة ذات الأظافر المخلبية التي ظهرت على الأرض خلف (الباليتي) ... رفع (سطوحي) عينيه ببطأ إلى أعلى، قبل أن تنطلق صرخته الفزعة لتشق سكون الليل.
******

بالطرد، وأخبرك أن الإيجار سيتضاعف من الشهر القادم ، الآن لن يفكر أحد من الورثة في شئ من هذا، وسينشغلون حتما لفترة طويلة في حصر كل تلك الثروات والأطيان، التي كان يمتلكها السيد (رضوان) الذهايبي ... أنت محظوظ رغم كل شئ!
:ابتسمت فقد بدا وصفه لي بالمحظوظ كدعابة، قبل أن أمط شفتي في عدم اكتراث، وأنا أقول
-.لم تكن مشاجرة بالمعنى المفهوم، كان مجرد خلاف بسيط في وجهات النظر
أنهيت حديثي معه وعدت لغرفتي، كنت أريد أن ألقي نظرة على لوحتي، فبالأمس بعد رحيل (رانية) وصاحبها، طالعتني تلك اللوحة العجيبة بمشهد جديد على نسيجها، مشهد لكائن يشبه الدب، أو المستذئب كما نراه في الأفلام، كذئب ضخم يقف على قدميه كالرجال، وكان ذلك الكائن يهاجم شاب

صحيح البنية، بدا لي ذلك أشبه بي (لعربي) الذي جاء بصحبه (رانية) الليلة الماضية، لا أعرف هل كان ذلك بسبب الإيحاء باعتباره آخر من رأيت، أو أن عقلي صور لي ذلك بسبب شعوري بالضيق والحقد عليه لكونه صديق (رانية) من دوني ... ألقيت نظرة على اللوحة، وكما توقعت اختفى ذلك المشهد، وعادت اللوحة لما كانت عليه ... شئ محير بحق، هل هي اللوحة حقا !؟ أم أن عقلي هو الذي يختلق تلك المشاهد بعد أن بدء يفقد اتزانه أخيرا بسبب الوحدة!؟

***

حاولت (رانية) الاتصال (بالعربي) عدة مرات هذا الصباح ولكن هاتفه لا يرد، كان قد وعدها بأن يكشف لها عن سر تلك اللوحة التي يحتفظ بها (مسعود) في بيته، والتي تبدو كلوحة أصلية تقدر قيمتها بالملايين، واشتراها (مسعود) بثمن بخس من متجر صغير للتحف والخردوات ... ترجلت (رانية) من السيارة الأجرة أمام ذلك القصر الذي تبرع به صاحبه العاشق للفنون بعد وفاته حتى يكون قبلة وملتقى يجمع الفن والفنانين، فتم تقسيمه، إلى مجموعة من المراسم وقاعات العرض، تديرها النقابة، وتؤجر بعضها، ومنها ذلك المرسم الذي يؤجره (لعربي) وهو في الناحية الخلفية من حديقة القصر، بعيدا عن الزحام والضجيج ... كانت الساعة الثامنة صباحا، وهذا يعني أنها ستتأخر عن العمل، ولكن فضولها بخصوص تلك اللوحة، وشعورها بالقلق لعدم رد (لعربي) على مكالماتها، دفعاها دفعا للقدوم إلى هنا.

توجهت (رانية) إلى المرسم، كانت تعلم أن (لعربي) يقضي معظم أوقاته فيه، هو تقريبا لا يعود إلى منزله إلا قليلا ... تنهدت بارتياح عندما وجدت باب المرسم مفتوحا وموارباً، دفعته بهدوء وتقدمت إلى الداخل وهي تنادي على (لعربي)، ولكنها لم تتلق ردا، إنها تعرف المكان جيدا، بل أنها تستخدمه أحيانا لممارسة هوايتها في الرسم، حتى أن بعض محاولاتها تقف هناك مرصوصة على الجدار، هي تعرف أنها ليست بارعة، ولكنها تحاول ومستواها يتحسن باستمرار ... ألقت نظرة على المكتب، فوجدت الحاسوب هناك، ولكنها لم تجد صاحبه، أخذت تبحث في المكان وهي تنادي على (لعربي)، فلمحت مجموعة من اللوحات مكومة وملقاة في جانب من المكان، فتمتمت وهي تقترب منها:

- !غريب، هذا ليس من عاداته

فجأة وقعت عيناها على قدمين تعرف صاحبهما، تطلان عليها من تحت اللوحات، صرخت في جزع:

- لعربي) ماذا بك؟)

قبل أن تندفع بسرعة لتزيح اللوحات من فوق جسده المسجى على الأرض، قبل أن تنطلق صرخاتها مدوية، متواصله، كصفير قاطرة أصيبت بالخبال، فهناك تحت تلك الكومة من اللوحات كان جسد (لعربي) الممزق، المشوه، الغارق في بحيره من دمائه ... توقفت (رانية) عن الصراخ مرة واحدة، وسقطت مغشيا عليها.

***

هذا هو اليوم الثالث الذي تتغيب فيه الآنسة (رانية) عن العمل، أشعر بالقلق والتوتر، وهذا دفعني إلى فعل مجنون ... توجهت إلى رئيس العمل، كان قد طلب مني كوبا من القهوة، ونسخ بعض الأوراق له على ماكينة النسخ ... اقتربت من مكتبه، وتنحنحت، فنظر لي تلك النظرة السمجة، وأشاح لي بيده بفظاظة كي أضع الأشياء التي في يدي على المكتب، وأرحل، فوضعتها وأنا أقول بصوت حذر:

-.(الآنسة (رانية

أجاب دون أن ينظر لي وهو يراجع بعض الأوراق أمامه:

- مالها!؟

- .لم تأت للعمل في الأيام الأخيرة

Moroccan Writers ©

:التفت لي وحدجني بنظرة متفحصة، وهو يقول
- .إنها مريضة
:قالها وعاد إلى عمله، فتنحنحت مرة أخرى، فصرخ في بحدة
- ماذا تريد الآن؟
:قلت بصوت متلجلج، وأنا أشير إلى الحاسوب الموجود أمامه، والمسجل عليه بيانات كل العاملين
-.كنت أريد رقم هاتفها
:حدق في وجهي بدهشة، قبل أن يسأل بصوت غليظ
- لماذا؟
:ازدادت الرعشة في صوتي، فخرج رغما عني مبحوحا، خائرا، أنا أقول
- .لقد طلبت مني أن اشتري لها بعض الأشياء
اتسعت عيناه بشدة، وهو ينظر إلى وجهي، يحاول سبر غوره، قبل أن تنطلق منه ضحكة عالية، مجلجلة، جذبت انتباه جميع الموظفين في الشركة، الذين حولو تركيزهم إلينا، وألقوا آذانهم وأعينهم ليتابعوا ما :سوف يحدث، قبل أن يصرخ في وجهي بصوت عال
- لن أعطيها لك بالطبع أيها العاشق الصغير ... هيا أذهب من هنا وعد إلى عملك قبل أن أوقع عليك الجزاء.
أحمر وجهي واحتقن، وأنا اتابع تلك الابتسامة الشامتة التي ارتسمت على وجوه الجميع، درت على عقبي :متوجها إلى المطبخ، وأنا أنظر إلى الأرض في خجل، فلاحقني ذلك اللعين بسهام كلامه الفظ قائلا
- عليك أن تعرف مستواك، ولا تحاول تجاوزه أبدا، وإلا ستصيبك الحياة بركلة لتذكرك بمقامك أيها العاشق.
كنت أشعر بالضيق والحرج، أفكر أن أعود لأخنقه بكلتا يدي، أو أذيقه ركله من طرف حذائي المدبب في مؤخرته، ستكون أكثر قسوة من ركلة الحياة التي يتحدث عنها هذا الأحمق ... تمتمت بصوت خفيض، لا :يسمعه سواي
- أتمنى أن تموت أيها اللعين
****
قال المحقق الشاب (لرانية)،التي تجلس على فراشها المعدني في غرفتها بالمستشفى، بعد أن قضت فيها :اليومين السابقين غائبة عن الوعي بعد تلك التجربة المروعة التي عاشتها
- هل أنتِ بخير الآن؟
كان وجهها شاحبا للغاية، وعيناها ذابلتين وبريق خضرتهما قد خفت، وشفتاها جافتين، وخرج صوتها :خائرا، ضعيفا، وهي تقول
-.أجل
- .إذا قصي لي ما حدث بالضبط
أخذت (رانية) تقص على المحقق ماحدث، وكيف أنها احتاجت رأي (لعربي) في لوحة اشتراها صديق لها، وعندما تأخر (لعربي) حاولت الاتصال به، فلم تتلق ردا، فقررت زيارته في مرسمه، لتعثر على جثته على تلك الحالة المريعة ... سألها المحقق عن بعض التفاصيل، فحاولت الإجابة بقدر ما سمحت لها به ذاكرتها، وحالة الإعياء التي تشعر بها في تلك اللحظة ... في النهاية شكرها المحقق، ثم أخبرها أن هناك سؤال واحد :أخير
- هل تعني لك كلمة (فوجار) شيئا!؟

Moroccan Writers ©

:فكرت (رانية) للحظات، ثم هزت رأسها نافية، وهي تقول
-.لا
:صمتت للحظة، ثم أردفت متسائلة
- هل لتلك الكلمة علاقة بمقتل (العربي)!؟
:أومأ المحقق برأسه، وهو ينهض من مقعده قائلا
- .أجل، لقد كتب تلك الكلمة في رسالة على هاتفه المحمول قبل مقتله، ولكن الوقت لم يسعفه لإرسالها شكرها المحقق قبل أن يرحل، وأعطاها بطاقته المهنية، وطلب منها الاتصال به في حال تذكر أي تفاصيل أخرى قد تفيد القضية ... للحظات تجمدت (رانية) في فراشها، وأغمضت عينيها وهي تسترجع بعض الذكريات لها مع (العربي) زميلها في الجامعة، ذلك الفنان الموهوب، الخدوم، الذي علمها الكثير، وكان السبب في حبها للفن واهتمامها به، سالت دمعة حارة على وجنتها، فمسحتها بسرعة، ثم تناولت بعزم هاتفها المحمول من على الكومود الموجود إلى جانب الفراش، أدخلت بعض الأرقام وضغطت زر الاتصال، :وانتظرت حتى جائها صوت مجيبها من الناحية الأخرى
ألو -
-.دكتور (عبد الكريم) كنت أريد أن آخذ رأيك في أمر هام
:استمعت للحظات، ثم قالت
-.حسنا، سأمر عليك بعد نصف ساعة في مكتبك بالجامعة
طرقت (رانية) باب المكتب وقرأت اللافتة المعلقة إلى جواره، دكتور (عبد الكريم) أستاذ في تاريخ الفن وعلوم المتاحف، كانت (رانية) تشعر بإعياء شديد، ويكتنفها إحساس متواصل بالدوار، كان والديها، والأطباء قد حاولوا جاهدين أن يثنوها عن مغادرة المستشفى قبل أن تتحسن حالتها، ولكنها كانت عازمة على القدوم، فهي تشعر أن الدكتور (عبد الكريم) قد يكون لديه إجابة على أسئلتها، في النهاية سمحوا لها بالخروج على أن يصحبها أخوها الأكبر بسيارته، وينتظرها حتى تنهي مقابلتها، ويعيدها بعد ذلك إلى المنزل :مباشرة ... جاءها صوت الدكتور (عبد الكريم) من داخل المكتب

- .تفضل

دخلت (رانية)، فنهض الدكتور (عبد الكريم) من وراء مكتبه، مرحبا بها، ودعاها للجلوس، قبل أن يرتسم :الأسى على وجهه، وهو يقول

- .لقد سمعت بما حدث (لعربي) ... أنا آسف

أطرقت (رانية) برأسها ولم تعرف بماذا تجيب، كان (لعربي) هو الذي عرفها بالدكتور (عبد الكريم)، ودعاها :لحضور بعض محاضراته التي يتحدث فيها عن تاريخ الفن، قال الدكتور (عبد الكريم) بلهجة رصينة

- أراك ما زلت مرهقة، وجهك الشاحب ينبئ بذلك ... كيف يمكنني مساعدتك؟

:أجابت بكلمة واحدة

!(فوجار)

Moroccan Writers ©

- ماذا؟

- هل هناك شئ مرتبط بتاريخ الفن يدعى (فوجار)؟

:بدا التفكير العميق على وجه الدكتور (عبد الكريم)، قبل أن يجيب

- هل تقصدين الرسام فوجار؟

- هل هناك رسام بهذا الاسم، أنا لم أسمع به من قبل

:عدل الدكتور (عبد الكريم) نظارته فوق عيناه، وهو يقول

- لآنه لم يشتهر بسبب لوحاته، في الواقع لم يترك منها إلا القليل، ولكنه اشتهر بسبب الجرائم المروعة التي ارتكبها.

أخرجت (رانية) هاتفها المحمول، وأرت الدكتور (عبد الكريم) صورة للوحة التي يعلقها (مسعود) على جدار غرفته، فبدا الذعر على وجهه وهو يقول بصوت مبحوح:

- هذه اللوحة ... هذه اللوحة سيئة السمعة، البعض يقول أنها ملعونة، أين عثرت على صورتها؟

***

لم أشعر بأن ساعة قد مرت علي وأنا واقف هناك أمام لوحتي، أحدق فيها بذهول ... كما هي العادة، إنها تبوح الليلة بصور جديدة ومشهد جديد، سرعان ما يختفي ما أن يأتي النهار، الليلة أرى على نسيجها صورة لرجل تبدو على ملامحه الغضب والكراهية، يشنق آخر بحبل غليظ يلفه حول عنقه، ويشده من الطرفين، على طريقة السفاحين الهنود، والثاني يقاوم في يأس وقد جحظت عيناه من الألم والرعب ... أشياء رائعة وأفكار جميلة أملأ بها عقلي وباطني قبل النوم، من الطبيعي أن تهاجمني إذا تلك الكوابيس اللعينة! ... الآن أفكر، هل كان شراء تلك اللوحة وتعليقها على جدار غرفتي فكرة جيدة؟.. أشك في ذلك!

استيقظت من النوم على رنين جرس المنبه في هاتفي المحمول، بحثت عنه، فوجدته في جيب سروالي، فأغلقته ... إنها الآن الرابعة صباحا بالتأكيد، عجيب لقد نمت الليلة نوما عميقا دون كوابيس، فركت عيني بأصابعي وبباطن كفي حتى أزيل عنهما النوم، نهضت من فراشي متوجها لدورة المياه ... ولكن ما هذا!؟ اللعنة! أنا لست في غرفتي، أنا في شقة واسعة، فاخرة التأثيث، أرى ذلك على ضوء بعض المصابيح الخافتة التي تضئ المكان ... أنا لم أكن نائما في فراشي، بل على أريكة وثيرة في بهو هذه الشقة!.. أنا لا أعرف هذا المكان، ولم أتواجد فيه سابقا، إذا ما الذي جاء بي إلى هنا!؟. انتبهت إلى ذلك الشئ الذي أقبض عليه في

يدي الآن، إنه حبل غليظ، ألقيته على الأرض بسرعة، كأنني كنت أقبض على ثعبان ... تلفت حولي في فزع، فرأيته هناك خلف أحد المقاعد مسجا على ظهره، عيناه جاحظتين تحلقان في السقف وقد اختفت منهما الحياة للأبد ... لقد تمنيت موته منذ ساعات، وها هي أمنيتي تتحقق ... إنه رئيسي في العمل، لقد مات !مشنوقا بحبل غليظ كما تبدو العلامات على رقبته، حبل كالذي كنت أمسكه في يدي منذ لحظات

*****

أربع ساعات مرت على فراري من تلك الشقة اللعينة تطاردني شياطين الرعب والقلق، كنت أهيم فيها على وجهي في شوارع المدينة، أسير بغير هدى، فكرة واحدة تسيطر على عقلي، هل حقا قتلت رئيسي في العمل؟ هل شنقته بحبل غليظ، وبيدي هاتين؟.. لا أنكر أنني تمنيت له الموت عدة مرات في السابق، فالدنيا بدون سماجته وفظاظته ستكون أفضل بأي حال! ولكنني لم أفكر يوما أن أفعلها بنفسي، أنا لا أجرؤ على ذلك ... أتسائل هل للوحة التي أعلقها على جدار غرفتي علاقة بذلك!؟ لقد رأيت رضوان الذهايبي يذبح على نسيجها، وذبح بالفعل بعدها، ورأيت رئيسي في العمل يشنق بحبل، وتحقق ذلك أيضا ... هل أكون أنا الفاعل في المرتين!؟ ... هل أكون قتلت الذهايبي بسبب مشادتنا بخصوص الإيجار!؟ وقتلت !رئيسي في العمل لسخريته الدائمة مني وتعمده إهانتي أمام الجميع

كانت شمس الصباح قد بزغت وأصبحت في كبد السماء، بالتأكيد لن أتوجه للعمل اليوم، أو لا أذهب إليه أبدا! ولكن ذلك قد يبذر الشكوك حولي أكثر، حسنا، سأتغيب اليوم، وأعود للعمل من الغد، وأتظاهر بأن شيئا لم يحدث ... أشعر بعطش شديد، لقد جفف الرعب حلقي، اقتربت من (كشك) صغير يبيع الجرائد والمرطبات، اشتريت قنينة من المياه الغازية الباردة، وأفرغتها في جوفي دفعة واحدة، وطلبت من البائع أن يعطيني واحدة أخرى، أخذت أطالع بناظري عناوين الجرائد والمجلات المعروضة في الواجهة، لفت نظري ذلك العنوان الذي يتحدث عن مقتل رسام في مرسمه وتشويه جسده بطريقة بشعة، التقطت الجريدة بسرعة وطالعت الخبر حتى وصلت لاسم القتيل، إنه (لعربي)، ذلك الضخم الذي جلبته (رانية) معها منذ أيام لفحص اللوحة، ولسوء حظه رأيت صورته بعدها على نسيجها، وهو يتعرض لهجوم من كائن متوحش يشبه الدب أو المستذئب، لقد ضايقتني صداقته (لرانية)، ولا أنكر أنني شعرت أيضا ببعض الغضب والحقد عليه!.. الآن الحقيقة أصبحت واضحة تماما لي، تلك اللوحة الشيطانية تلتقط مشاعر الغضب داخلي، وتحولها إلى صورة لحادثة قتل على نسيجها، حادثة تتحقق بحذافيرها بعد ذلك بساعات قليلة ... قادتني قدماي دون قياد مني لأجد نفسي أمام البناية التي أسكن فيها، لأصعد إلى غرفتي، وأولج المفتاح في .قفل الباب بيد مرتعشة، وأفتح الباب، خطوت إلى الداخل فوجدتهم ينتظرونني هناك

***

(قال الدكتور (عبد الكريم

Moroccan Writers ©

فوجار) هو رسام مجري من القرن السابع عشر، لا أدري هل كان سابقا لعصره، أو أن شيطانا كان) - يساعده في رسم تلك اللوحات، فهي كانت تحمل ذلك الطابع السيريالي أو كما يسمونه (الفوق واقعي) الذي لم يكن قد عرف بعد في هذا العصر ... كان من يرى لوحاته يتحدث عن تلك العوالم المرعبة والكيانات الشيطانية التي كانت تطغى عليها، وعن تلك الرعشة التي تنتابه، والكآبة التي تتملك وجدانه، والشعور المبهم بالرعب الحيواني الذي يسيطر على باطنه عندما يرى تلك اللوحات.

سألت (رانية) بفضول:

- هل رأيت بعضها؟

- لا لم أرى أيا منها ... فقط أعرف تلك اللوحة بسبب شهرتها، ولآن مالكها الأخير حكى قصتها والتقط لها بعض الصور.

- وكيف ذلك؟

ايتسم الدكتور (عبد الكريم) وهو يومئ برأسه متفهما لفضول رانية ورغبتها في معرفة المزيد، وهو يقول:

-.لهذا قصة، إذا أمهلتيني سأقصها عليك باختصار

- .تفضل

التقط الدكتور (عبد الكريم) شهيقا طويلا ملأ به صدره، ثم قال:

- بدأت القصة في قرية بهنغاريا الحالية التي كان يعيش فيها (فوجار)، وكما أخبرتك، كانت لوحاته تثير الفزع في روع كل من كان يشاهدها، أشيعت عنه إشاعات كثيرة، البعض قال إنه ساحر، أو شيطان أو إنه من نسل الشياطين، وغيرها من تلك الأشياء التي يفسر بها القرويون كل ما لا يستطيعون تفسيره.

توقف للحظة ثم أردف

- الكارثة بدأت مع حالات الاختفاء التي انتشرت في القرية، أطفال، رجال، نساء، شيوخ، وكما هو متوقع أشارت أصابع الاتهام إلى (فوجار) مباشرة.

- وهل كان بريئا منها ؟

نهض الدكتور (عبد الكريم) من وراء مكتبه وأخذ يسير في الغرفة جيئة وذهابا، قبل أن يقول:

Moroccan Writers ©

- لا على العكس، لقد كان هو الفاعل ... عندما فتشت الشرطة منزله، وجدوا جثث كل من اختفى أو ما تبقى منها.

بدا الإشمئزاز على وجه (رانية) وهي تتسائل:

- هل كان غولا يأكل لحوم البشر!؟

- لا ... كان يصنع ألوانا وأحبارا من دماء وعظام ضحاياه، ليرسم بها لوحاته الملعونة، يظن أنه بذلك يكسب كل لوحه من لوحاته روحا وحياة خاصة بها ... لقد كان مخبولا تماما.

- وماذا حدث بعد ذلك؟

- حاصره أهل القرية في منزله، وأحرقوه فيه، هو وجميع لوحاته.

صمت للحظة ثم أردف:

- في الرواية يتحدثون عن لعنة أطلقها في تلك الليلة، وعن صرخات وعويل شياطين انبعثت من داخل مرسمه، ويقولون أيضا أن تلك الأصوات كانت تنبعث من اللوحات نفسها قبل أن تأتي عليها النار.

ابتلعت (رانية) ريقها، وهي تقول:

- قصة مرعبة بحق، ولكن ماذا هذه اللوحة؟

(وأشارت بهاتفها المحمول الذي يحوي صورة لوحة (مسعود)، فأجابها الدكتور (عبد الكريم):

- أدعى البعض أنها من لوحات (فوجار)، وأنكر الكثيرون ذلك لآنها لا تنتظم مع ذلك الطابع المخبول الذي كانت عليه لوحاته ... يقول مالكها الأخير، وهو رجل أعمال ثري، امتلك تلك اللوحة في ستينيات القرن العشرين، وهو من وثق تاريخها الأسود، وجرائم القتل التي أصابت مالكيها ومن حولهم، أن تلك اللوحة هي الوحيدة التي نجت من النار في تلك الليلة، وأن روح (فوجار) وكيانات لوحاته الشريرة احتجزت فيها، وهذا هو السبب في كون تلك اللوحة ملعونة، وتصيب من يمتلكها بتلك اللعنة.

- وماذا حدث لهذا المالك بعدها!؟

زفر الدكتور (عبد الكريم) زفرة حادة وهو يجيب:

- لقد كانت نهايته كنهاية (فوجار) تقريبا

حريق شب في غرفة مكتبه أتى على كل ما فيها، وعليه هو شخصيا، فقد عثروا على رفات جثته أو ما تبقى منها على مسافة متر واحد فقط من الجدار الذي كان يعلق عليه تلك اللوحة؟

- وماذا عن اللوحة نفسها؟

- اختفت ... لم يعثروا عليها في ذلك اليوم، وظن الجميع أنها احترقت مع الغرفة، واختفى أثرها من التاريخ طوال كل تلك الفترة، حتى ظهرت مؤخرا لدى صديقك هذا؟.. ماذا كان اسمه؟

(مسعود) -

مفاجأة مرعبة استقبلتني في الداخل عندما دلفت إلى غرفتي، أظن أن شعري قد شاب مما رأيته في تلك اللحظة ، أشعر بألم هائل في عضلة قلبي، أحاول التراجع ولكن قدماي خارتا، وتحولتا إلى عودين من المعكرونة، وعجزتا تماما عن الاستجابة ومساعدتي على الهرب، أشعر بضيق في التنفس، ودوار يكتنف عقلي، وبأن هناك صاعقة ثلجية قد ضربت كل ذرة في كياني ... غامت الموجودات أمام ناظري لثوان، ثم سقطت على الأرض فاقدا للوعي.

عندما أفقت، كانوا قد رحلوا جميعا!.. تلفت حولي في جزع، وأنا أتسائل في حيرة ورعب، هل كان ما رأيته حقيقيا!؟ أم أنها أوهام وخيالات صنعها عقلي المكدود، هل كان هناك درزينة من الشياطين يجولون ويحومون في هواء غرفتي الضيقة منذ لحظات!؟. شياطين تبدو كأنها قادمة مباشرة من أعماق الجحيم، أحدها يبدو كالمستذئب، والآخر يبدو كالمينوتور في ميثيولوجيا الاغريق بجسد بشري متكتل بالعضلات ورأس ثور، والثالث يطير بجناحين وله رأس ثعبان، والرابع يحمل ثلاثة رؤوس قبيحة على جذعه، وغيرها من المخلوقات التي تحمل أوصافا مرعبة وقبيحة، يعجز عقلي ولساني عن وصفها.

كنت مازلت ملقا على الأرض أشعر بالألم في كل ذرة في جسدي، زحفت إلى فراشي، واستلقيت عليه، وغبت في نوم طويل، حتى المساء ... استيقظت على رنين طويل، مستمر على هاتفي المحمول، ألقيت نظرة سريعة على الرقم فلم أعرف صاحبه، ضغطت زر الرد، فجأني ذلك الصوت الأنثوي الرقيق من الناحية الأخرى وهو يقول:

- مسعود

- أجل.

- أنا (رانية).

خفق قلبي بقوة، وشعرت أنه يريد أن يقفز من صدري ... من ساعات كاد يتوقف من الرعب، وهو الآن يوشك على التوقف من شدة الفرحة، أجبت بسرعة:

- مرحبا آنسة (رانية) ... هل أنت بخير الآن؟ ... علمت أنك

قاطعتني بسرعة، وبصوت جاد:

-اللوحة يا (مسعود) ... إنها ملعونة حاول التخلص منها بسرعة

:عجزت عن الرد، فواصلت هي حديثها قائلة

- .لقد مات (لعربي) بسببها، أرجوك حاول التخلص منها بسرعة، قبل أن تتسبب في موت آخريين

:قلت بسرعة محاولا طمأنتها

- .سأفعل، لا تقلقي، ولكنني أريد أن أقابلك لأفهم الموضوع بالضبط

- .حسنا سأمر عليك غدا، ولكن لا تنتظر، عليك أن تتخلص منها الآن

:أغلقت الهاتف بسرعة، ونظرت إلى اللوحة، وأنا أتمتم بصوت خفيض

- .حسنا، سأفعل

هنا رأيته يظهر من العدم، يقف أمام اللوحة مباشرة هو يوليني ظهره، يحمل بين يديه فرشاته وألوانه، يرتدي سترة وسروالا ضيق وقبعة عملاقة، ثياب من الماضي البعيد، كان منهمكا في رسم أشياء على لوحتي مباشرة ... نهضت من الفراش، واقتربت بحذر، حتى صرت خلفه تماما، كانت الأشياء التي يرسمها قد بدأت تتضح، وهي تبدو لي كفتاة مذعورة بثياب النوم متكومة في ركن من الغرفة، وهناك ثعبان ضخم يقترب منها :وهو فاغرا فاه ... ضربات أخرى من الفرشاة صارت صورة الفتاة أكثر وضوحا، فوجدت نفسي أصرخ بجزع

- !(لا ... لا ... ليست (رانية

فالتفت إلي بوجهه المرعب المحترق، والمشوه، محجرا عينيه الخاليين، وصرخ في بصوت مرعب، متضخم :كأنه يخرج من أعماق بئر سحيق

- ... أقتلها

***

قال المحقق الشاب (لرانية)، شكرا لك على استقبالي في هذا الوقت المتأخر، دعته (رانية) للدخول، كان :أباها وأخوها في الداخل، فسلم عليهما المحقق وهو يقول

- .عذرا على قدومي بهذا الشكل، في هذا الوقت المتأخر

:قالت (رانية) بلهجة متعاطفة

- .لا يوجد مشكلة ... أي شئ يساعد في القبض على قاتل (العربي)، أنا مستعدة لفعله

Moroccan Writers ©

دعا الأب الجميع للجلوس في غرفة (الصالون)، وهو يسأل المحقق عن المشروب الذي يفضله، اعتذر الأخير بأدب وهو يخرج هاتفه المحمول من جيب سترته، ويشغل (فيديو) مكتوم الصوت، ويناوله (لرانية) هو يقول:

- هذا (الفيديو) صورته (كاميرا) البنك المواجه للقصر، هناك أربعة أشخاص دخلوا القصر من بوابته الرئيسية في ساعة متأخرة من ليلة الجريمة، هل يمكنك التعرف على أحدهم؟

التقطت (رانية) الهاتف، وأخذت تتابع الفيديو باهتمام، قبل تهز رأسها وهي تقول:

- لا أعرف هذا الشخص.

تابعت المزيد، ثم أردفت:

- ولا هذا أيضا.

اتسعت عيناها في رعب، وهي تضع يدها على فمها وتحاول كتم صرختها، وهي تقول:

- (هذا الرجل ... إنه (مسعود

***

غادر المحقق الشاب منزل (رانية) بعد أن حكت له كل شئ عن اللوحة الملعونة التي اشتراها (مسعود)، وعن زيارتها لمنزله بصحبة (لعربي)، وأعطته أيضا عنوان (مسعود) ورقم هاتفه ... كانت تشعر بالضيق، لم تكن تصدق أن (مسعود) يمكنه أن يرتكب جريمة بشعة كتلك، بالتأكيد هذه اللوحة الملعونة هي التي فحاولت أن تقرأ كتابا ليساعدها على دفعته لذلك، حاولت أن تستلقي في فراشها وتنام ولكنها لم تستطع، الاسترخاء ولكنها أيضا لم تنجح في دفع تلك الأفكار عن ذهنها، أخيرا قررت التوجه إلى المطبخ لتصب لنفسها كوبا من الحليب ليساعدها على التخلص من حالة التوتر والأرق التي تكتنفها ... كانت تسير في الردهة المظلمة كباقي غرف المنزل بعد أن أوى جميع أفراد العائلة إلى فرشهم، فجأة وصل إلى مسامعها صوت حركة خافتة يأتي من داخل المطبخ ... أيكون ذلك واحدا من أهلها توجه إلى المطبخ لنفس ليشرب الحليب هو الاخر ؟

اقتربت (رانية) بخطوات حذرة من المطبخ، كانت الشقة غارقة في الظلام بعد أن أوى جميع أفراد عائلتها إلى فرشهم، إلا من ضوء مصباح خافت يضيئ الصالة، وذلك الضوء الذي يخرج من باب غرفة نومها المفتوح في آخر الردهة مدت (رانية) رأسها عبر باب المطبخ، وعلى الإضاءة الخافتة الصادرة من مصباح الثلاجة، رأت شخصا ينحني داخلها ويبحث عن شئ فيها بعصبية، كان معظم جسده مختفيا وراء باب الثلاجة المفتوح ... كان أول ما جال بعقل (رانية)، أن هذا الشخص هو بالتأكيد واحد من أخوتها الذكور،

تسلل إلى المطبخ لصنع شطيرة ليلية، اقتربت (رانية) أكثر بخطوات متحسسة وقررت أن تفاجئ أخيها العابث ... خطوة أخرى ثم أزاحت باب الثلاجة وهي تقول بصوت ساخر حاولت أن تكسبه نبرة تهديد مصطنعة:

- ماذا تفعل هنا!؟

اعتدل ذلك الشخص ببطء، حتى صار وجهه في مواجهة وجهها تماما، هنا اكتشفت أنه ليس واحدا من أخوتها الذكور، لقد كان (مسعود)، ولكن هناك شيئا مختلفا في ملامحه، إنهما عيناه وحدقتيهما المشقوقتين كالثعابين، ونابيه البارزين على جانبي فمه، وذلك اللسان المشقوق الذي يتحرك بينهما، لقد كان هو (مسعود) كما تعرفه، ولكن بهيئة ثعبانيه مرعبة ... كانت (رانية) قد بلغ منها الرعب والذعر مبلغا، كانت تريد أن تصرخ، أو تهرب، أو حتى تسقط مغشيا عليها، ولكنها شعرت بالخدر، والشلل، يتملكان كل جوارحها ... أصدر ذلك المخلوق هسيسا مرعبا، وأقترب منها أكثر حتى صار فمه على بعد بوصات من أذنيها، قبل أن يهمس فيهما بكلمات لم تسمعها في المرة الأولى، فكررها ثانية فبدت واضحة في تلك المرة:

- !ساعديني ... أرجوك ساعديني

فجأة زال الخدر عن جسدها دفعة واحدة، وانطلقت صرخاتها عالية، مولولة ... ثوان وأضيئ المكان، كان ذلك هو والدها الذي هرع إلى غرفة نومها بعد أن أفزعته صرختها، فأضاء المصباح، ومن خلفه لحق به أخوتها وأمها، التي أسرعت نحوها وجلست بجوارها على الفراش واحتضنتها، وهي تقول بلهجة مطمئنة:

- .لا تقلقي يا حبيبتي ... إنه مجرد كابوس

قال أبوها بلهجة حانية:

- .اطمئني، أنت في فراشك وبين أهلك، لا يوجد ما يخيف

تلفتت (رانية) حولها في جزع، كانت بالفعل على فراشها، وفي غرفة نومها ... كان الفزع والحيرة مازالا يرسمان معالمهما على وجهها، هل كان ما رأته حقا حلما أو كابوسا، لقد كان شديد الوضوح، وكان مرعبا للغاية ... أردف أبوها قائلا:

- .ما تعرضت له في الأيام الماضية كان قاسيا يا بنيتي، عليك أن تريحي جسدك وعقلك يا حبيبتي

أشارت أمها لأبيها وأخوتها كي يرحلوا، وهي تقول:

- .سأنام جانبك هذه الليلة

أراحت (رانية) رأسها إلى الوسادة، وأغمضت عينيها، وعقلها مازال مستيقظا يفكر في هذا الكابوس المرعب، هل كان ما رأته حلما، أم رؤية ورسالة من عقلها الباطن؟

Moroccan Writers ©

***

لحظة مرعبة أخرى عشتها عندما نظر إليَّ ذلك الشبح، وصرخ في وجهي:

- أقتلها!

كان صوته ضخما، عميقا، كصوت الرعد، خرج من فمه كريح عاصفة، أطاحت بي إلى الخلف أكثر من مترين، لأسقط على فراشي ... كان رد فعلي سريعا للغاية، نهضت من سقطتي، وتوجهت مباشرة إلى باب غرفتي، وهربت من المكان ... لن أقضي لحظة أخرى في تلك الغرفة بحضرة شياطينها، وشبحها، ولوحتها الملعونة ... كنت أعدو على درج البناية اتلفت خلفي تحسبا أن يكون ذلك الشبح في أثري ... أشعر بالخوف على نفسي حقا! ولكنني أشعر بالخوف أكثر على (رانية)، التي اخترتها اللوحة الملعونة كي تكون ضحيتها التالية، ويدعوني ذلك الشبح لأقتلها بنفسي ... لا لن أقتلها! لن أفعل ذلك أبدا، مهما كان الثمن غاليا.

قادتني قدماي إلى ذلك الفندق الحقير، في ذلك الحي الشعبي بقلب العاصمة، أعرف المكان جيدا، وقضيت فيه بعض الليالي من قبل بصحبة العناكب والقمل والعفن الذي يغطي جدرانه، وأثاثه القذر، كل هذا لا يهم، المهم ألا أقضي ليلتي بصحبة تلك اللوحة الملعونة ... كان عامل الفندق يعرفني، وبالتالي لم يسألني عن اسمي ولا بطاقتي، وهو يناولني مفتاح الغرفة، ويتناول إيجار ليلتين ... دلفت إلى الغرفة فاستقبلني جوها الخانق، وتلك الرائحة العضوية السيئة، ألقيت نفسي على الفراش الذي تغطيه ملاءة اختفى بياضها أسفل تلك البقع ذات الألوان المتعددة، والتي يمكن أن تنشط مخيلتك، فتعتبرها كلعبة للتسلية وانت تفكر في مصدر كل بقعة من تلك البقع ... أغمضت عيني، وغبت في النوم، أنام كثيرا جدا في الأيام الأخيرة، المفروض أن يكون الأمر عكس ذلك تماما مع كل تلك الضغوط العصبية التي أتعرض لها ... ولكن ها أنا أغيب فيه مرة أخرى، كان آخر ما خطر على عقلي قبل النوم، هو صورة (رانية) وابتسامتها الآثرة وعينيها الخلابتين.

نمت عدة ساعات، واستيقظت قرب الفجر، توجهت إلى ذلك الحوض المعلق إلى جدار الغرفة، فغسلت وجهي ببضعة دفقات من الماء، لا يوجد داعي لدخول الحمام، ففي هذا الفندق الحمام مشترك، ودخوله بالدور ويعتبر ضربا من المستحيلات، وحتى لو نجحت في دخوله فسيفزعك ما ستراه في الداخل ... عدت إلى فراشي وجلست عليه، ألقيت نظرة على ساعتي إنها الرابعة صباحا، زفرت زفرة طويلة قطعتها بفزع، بعد أن وقعت عيناي عليها، انتصب شعر رأسي وسرت البرودة على عمودي الفقري، ورقبتي، ووجدت نفسي أصرخ في جزع:

- اللعنة!

Moroccan Writers ©

فأمامي على الجدار المقابل، كانت لوحتي الملعونة معلقة في براءة، لقد جاءت خلفي، لقد قررت ملاحقتي ... حاولت الهرب منها وتركت غرفتي بما فيها، فطاردتني تلك الملعونة إلى ذلك المكان الحقير... نظرت إلى نسيجها، كان ذلك المشهد الذي يمثل (رانية) محاصرة بذلك الثعبان الضخم ماثلا على نسيجها ... تمتمت بفزع:

- يا إلهي ماذا أفعل!؟ كيف أتخلص من تلك اللعنة!؟

***

مرة أخرى أجول في شوارع العاصمة حتى تطلع شمس الصباح، وتعود الحياة إلي شوارعها التي كانت نائمة، أتوجه الآن إلى العمل، هذه هي الفكرة الوحيدة التي خطرت لي، بالتأكيد لن تطاردني تلك اللوحة الملعونة إلى هناك، كما أن ذهابي للعمل فرصة لرؤية (رانية)، وكذلك ينأى بي عن الشكوك عندما يكتشفون مقتل رئيسي في العمل ... وصلت إلى أول الشارع الذي فيه الشركة التي أعمل بها، عندها لمحت سيارة الشرطة التي تقف أمام بنايتها، وحولها ينتشر مجموعة من رجال الشرطة يقفون في ترقب أمام مدخل البناية ... استدرت على عقبي مبتعدا، لا أحتاج للكثير من الذكاء لأعرف أنهم هنا يبحثون عني ليقبضوا علي، ترى في أي تهمة؟ مقتل الذهايبي ، أم مقتل رئيسي في العمل، أم (لعربي)؟ أم أن الشرطة اكتشفت كل الحقيقة، وتبحث عني لقتل ثلاثتهم!؟

أخرجت هاتفي المحمول، كانت آخر مكالمة مسجلة عليه من (رانية)، ضغطت زر الاتصال، وانتظرت في قلق مترقبا أن يتوقف الرنين السمج، وأسمع صوتها الرقيق يرد علي من الطرف الآخر، ولكن هذا لم يحدث أبدا! حاولت مرات ومرات، وفي كل مرة لا أتلقى ردا!. لقد وعدتني (رانية) بأن تمر علي اليوم، هل أعود إلى غرفتي وانتظرها هناك، ولكن إذا كانت الشرطة عرفت الطريق إلى عملي، فهم بالتاكيد يعرفون أيضا الطريق إلى سكني، وهم ينتظرونني هناك ينصبون المصيدة وينتظرون الفأر أن يقع فيها، لا لن أفعل، لن أعود إلى غرفتي أبدا!

بعد ساعات طويلة من السير أدمت قدمي، وأحرقت فيها أكواب القهوة والشاي معدتي عندما كنت ألجأ للجلوس على بعض المقاهي لأريح على مقاعدها جسدي المنهك ... أخيرا حل المساء، وهناك فكرة تسيطر الآن على عقلي، لا أعرف هل هي فكرة تحمل بعض المنطق، أم أن الأرهاق والتعب هما اللذان يصوران ذلك لعقلي، أفكر أن أعود الآن إلى ذلك الفندق الحقير، وأحاول التخلص من تلك اللوحة اللعينة بأي وسيلة، كما أنه في النهاية مكان مناسب للاختباء في تلك الظروف.

اللعنة ... ماذا أفعل لكي أقضي على تلك اللوحة الأبدية، لقد جربت اشعال النار فيها فلم تتاثر، جربت تمزيقها بمقص وسكين عبر عشرات الطعنات والشقوق ثم عادت بعدها لتلتئم كان شيئا لم يكن، ماذا أفعل حتى أتخلص منها!؟ أخذت أصرخ في هستيرية، أمسكت باللوحة بغضب وتوجهت إلى النافذة وألقيت بها

على امتداد ذراعي إلى خارج النافذة، لتسقط في مكب للنفايات بذلك الشارع الخلفي الملاصق لظهر الفندق، ذلك الشارع الممتلأ عن آخره بأكياس القمامة والنفايات ... صرخت وأنا أزفر بعصبية:

- إذهبي أيتها اللعينة ... مصيرك مع القمامة!

الآن يمكنني أن أرتاح قليلا، أشعر بحاجة شديدة للنوم.

***

لم يفلح إلحاح والدي (رانية) أو تحذيراتهما في أن يثنياها عن الذهاب للعمل في هذا اليوم، كانت تعلم أنها لو تغيبت يوما آخر فلن يرحمها ذلك البغيض رئيسها في العمل من العقاب، هكذا وجدت نفسها على مكتبها وأمامها أطنان من العمل المتأخر، الغريب أنها علمت أن رئيسها في العمل لم يحضر هذا اليوم، ولا اليوم الذي قبله، وهذا أشعرها بالراحة، لأن هذا يمنحها متسعا من الوقت لإنهاء أعمالها المتأخرة قبل ظهوره، وتقريعه المتوقع لها ... سألت زملاءها في العمل عن (مسعود)، وعلمت منهم أنه متغيب هو الآخر، على الأقل هي تعرف السبب، والآخرين في الشركة أصبحوا يعرفونه أيضا بعد ساعات عندما جاء ذلك المحقق الشاب، المتحمس للشركة بصحبة رجال الشرطة للسؤال عن (مسعود) بعد أن أخفقوا في العثور عليه في غرفته.

اتصلت (رانية) بأمها لتخبرها بأنها ستتأخر في العمل حتى التاسعة مساء، وذلك كي لا تشعر بالقلق عليها، ولتبلغ أيضا أخاها الأصغر بالموعد الذي سيحضر فيه لها، بعد أن رفض أبوها أن تقود السيارة بنفسها هذا الصباح، خوفا من أن تعاودها حالة التعب والدوار، وأصر على أن يصحبها أخوها للعمل صباحا ويعيدها في المساء.

أنهت (رانية) عملها في الموعد المحدد، فأخرجت هاتفها للاتصال بأخيها، كانت هناك خمسة وعشرون اتصالا لم ترد عليها، لقد نست هاتفها على وضع الصامت، فكرت أن معظم تلك الاتصالات من والديها، وستقوم بمراجعتها بعدما تعود للمنزل ... وضعت الهاتف في حقيبتها، ووقفت أمام البناية تنتظر في صبر وصول أخيها، فجأة لمحت شيئا يلمع من شارع الخدمات الضيق المجاور لبناية الشركة، هي تعلم أن ذلك الشارع مغلق وفيه مداخل خلفية للبنايات المطلة عليه، ويستخدم عادة في التحميل أو التفريغ ... هناك شيء بالفعل يلمع داخل ذلك الشارع، أو هو انعكاس إضاءة أعمدة الإنارة على شيء ما يتحرك... دفعها الفضول للاقتراب اكثر، لم تشعر بنفسها وهي تلج ذلك الشارع وتمشي فيه حتى منتصفه، لا يوجد أي أثر لذلك الشيء اللامع، فجأة، تدحرجت علبة معدنية من الطرف المغلق للشارع حتى توقفت أمام حذاءها ... كان ذلك الطرف مكدسا بصناديق خشبية ضخمة تصلح لإخفاء فيل، بدأت (رانية) تشعر بالقلق، وبأن دخولها لهذا المكان وحدها لم يكن تصرفا ذكيا، فتمتمت بصوت مرتعش وهي تتراجع للخلف:

- هل من أحد هنا!؟

Moroccan Writers ©

هنا فتح الجحيم أبوابه، فمن خلف أحد الصناديق خرج ذلك الثعبان العملاق، ثعبان ضخم بحجم ثعبان (البوا) العملاق، يزحف ناحيتها برأس وقائمة منتصبتين (كالكوبرا الملكية)، وبذيل يصلصل كحية الجرس، وبعينين تلمعان بضوء أصفر مرعب، إي خليط شيطاني هذا في هذا الثعبان الضخم الذي يحاصرها في ذلك الشارع الضيق، ويقترب منها مشرعا أنيابه، ولسان مشقوق يعبث بينهما في جشع، فكرت للحظة، هل يكون هذا أيضا كابوس ككابوس الأمس؟ لا إنه ليس كابوسا، إنها حقيقة مرعبة ... حاولت (رانية) الهرب ولكن الفرصة كانت قد ضاعت، فقد زحف ذلك الثعبان وأغلق مدخل الشارع عليها، وبدأ يقترب منها مركزا عينيه المنومتين إلى عينيها، أخذت (رانية) تتراجع، حتى صار الحائط في ظهرها، فغطت وجهها برعب وأخذت تصرخ في جنون هستيري.

- !طاااااخ

كان ذلك هو صوت عيار ناري انطلق من مدخل الشارع، وأصاب الثعبان الضخم في جذعه، فسقط متكوما على الأرض، فتحت (رانية) عينيها لتلمح ذلك المحقق الشاب وهو يصوب مسدسه ناحية الثعبان المتكوم بجرح دامي في جزعه، على الأرض على بعد متر واحد من موقعها، بادرها المحقق الشاب:

-هل أنت بخير؟

أومأت برأسها ... فجأة اعتدل الثعبان العملاق، ثم زحف بسرعة هائلة ناحية الجدار المغلق في نهاية الشارع، طارده المحقق برصاصته، التي أصابت جميعها الجدار، ولم تفلح أيا منها في إصابة الثعبان، الذي زحف صعودا الجدار بطريقة مذهلة لا تفعلها الثعابين وبسرعة كبيرة حتى اختفى عند سطح البناية ... هرع المحقق الشاب نحو (رانية) وعاونها على النهوض، وهو يقول:

-أي شيطان هذا؟

شكرته (رانية)، قائله:

- لقد أنقذت حياتي ... لولا ظهورك المفاجئ لصرت فريسة سائغة له ... شكرا لك!

- لقد كان هذا من حسن حظي ... لم نعثر عليه حتى الآن ليس ظهورا مفاجئا، كنا نراقبك على أمل أن يحاول (مسعود) التواصل معك.

ابتسمت (رانية):

- لقد كان هذا من حسن حظي.

رة أخرى استيقظ في مكان لا أعرفه، ليست شقة هذه المرة بكل تلك اللوحات المنتشرة في المكان، وأدوات الرسم، والفرشات والألوان، يبدو المكان كمعرض أو مرسم، هناك مكتب في صدر المكان عليه جهاز حاسوب، أشعر بآلام رهيبة في الجانب الأيسر من بطني، تحسست موضع الألم، فغرق كفي و غرقت أصابعي بالدماء الدافئة، هناك جرح غائر في بطني، تسيل منه الدماء، تلفت حولي في ذعر، فوجدتها هناك

معلقة على الجدار، تنظر لي بسخرية سوداء، إنها لوحتي الملعونة مرة أخرى، جلبتني إلى هذا المكان الذي !لا أعرفه

ألمح صورة ضوئية في إطار فوق المكتب، أمسكتها بيدي الغارقة بالدماء، ونظرت فيها، إنني أعرف صاحبها، إنه (لعربي) صديق (رانية)، يظهر في الصورة وهو يتسلم درعا أو جائزة من شخص ما، يبدو أن هذا .المكان هو مرسمه

أشعر بضعف ودوار شديدين، جلست على الأرض واسندت ظهري إلى الجدار، ألقيت نظرة على لوحتي الملعونة، لقد تغير المشهد على نسيجها، لم استطع تبين المشهد الجديد من موقعي هذا، ولم أقو على القيام والاقتراب لرؤيته ... ألم شديد من الجرح، وشعور بالخدر يتسرب إلى نصفي الأيسر، أتساءل ما سبب هذا الجرح؟ هل ذهبت في رحلة أخرى من رحلاتي التي ترسلني فيها تلك اللوحة عندما أكون نائما، وأصبت !فيها إصابة خطيرة!؟ تبدو بالفعل خطيرة ومميتة

استلقيت على جانبي الأيمن، أخرجت هاتفي المحمول، وضبطت المنبه فيه على أن يرن كل عشر دقائق، لا أريد أن أنام الآن، واستيقظ لأجد نفسي، وقد ارتكبت كارثة أخرى، اعتقد أن اللعنة على وشك الانتهاء، لقد كانت حياتي بائسة بما يكفي، وموتي الآن إذا كان سينهي هذه اللعنة لن يكون سيئا ... فجأة دق جرس الهاتف، نظرت بعينين زائغتين إلى شاشته، إنها رقمها ... تدفقت الطاقة في عروقي دفعة واحدة، ووجدت :نفسي اعتدل متناسيا جرحي القاتل، وأنا أضغط على زر الإجابة في الهاتف قائلا

!(آنسة (رانية -

- مسعود) أين أنت، الجميع يبحثون عنك!؟)

:صمت للحظة، ثم رددت بصوت خائر، ضعيف

- صدقيني يا آنسة (رانية) ... أنا لم ارتكب أي جريمة، ولم أقتل أحدا، إنها تلك اللوحة الملعونة وشياطينها، .إنها هي المسئولة عن كل ذلك

- .أعرف يا (مسعود) ... عذرا لم انتبه لمكالماتك إلا الآن

:ألم رهيب اكتنف جرحي، فتأوهت بصوت خافت، ضغطت على أسناني وأنا أجيب بصوت ضعيف

... لا يوجد مشكلة، المهم أنك اتصلت بي في النهاية، كنت أريد أن أبرئ نفسي أمامك قبل أن -

:لم استطع أن أكمل، فجاءني صوتها القلق

- قبل ماذا يا (مسعود)!؟ ولماذا يبدو صوتك ضعيفا متألما!؟

Moroccan Writers ©

:استجمعت بعض قوتي كي أجيب

- .لا تقلقي ستنتهي اللعنة بعد قليل

:جاء صوتها ملتاعا

- أين أنت يا (مسعود)؟

- !(لقد جاءت بي اللوحة رغما عني، إلى مرسم (العربي

:قالت بسرعة

-إذا ابق مكانك ... أنا قادمة؟

- .انتظري ... كنت أريد أنا أصارحك بشيء واحد أخير

- .صارحني عندما أصل إليك

لا ... هذا هو الوقت المناسب ... أريد ان أخبرك أنك إنسانة رائعة، الملاك الوحيد في حياتي الممتلئة عن .آخرها بالشياطين ... أنا ... أنا أحبك

أغلقت الهاتف بسرعة دون أن انتظر ردة فعلها ... لا أريد ان أسمع ردها، لا يهمني، المهم انني اعترفت لها !بحبي وهذا يكفي ... الآن يمكنني أن أموت مرتاحا... الآن أرى أن حياتي لم تكن بهذا السوء

***

خارت قواي تماما، أشعر بالخدر الآن في كل جسدي، هل هذه هي عوارض الموت، نظرت إلى تلك اللوحة الملعونة، أشعر بأن ضحكاتها الساخرة، الظافرة، تصل إلى مسامعي... استجمعت آخر قطرات من طاقتي، نهضت بصعوبة شديدة وأنا استند إلى الجدار، أخذت أجرر قدمي متوجها صوب اللوحة، الآن أرى المشهد المرسوم على نسيجها، ابتسمت بسخرية، فقد كان المشهد يعرض شاب جاثيا على ركبتيه تحاصره الشياطين من كل جانب، تنتظر اللحظة المناسبة لتهاجمه وتفترسه، وكان ذلك الشاب يشبهني تماما، :تمتمت بصوت خفيض

- !هذا هو مشهد النهاية إذا

فجأة صعقتني تلك الخاطرة، (رانية) في طريقها إلى هنا، وقد يعرضها ذلك للخطر، يجب أن اتصرف بسرعة، تلفت حولي في جزع بحثا عن شيء يساعدني، لمحت في ركن من المكان مجموعة من الحاويات عليها علامة (خطر)، أعلم أن الرسامين يحتاجون أحيانا للبنزين والأثير لخلطها بمواد الرسم ... توجهت ناحيتها

وأنا ما زلت أجرر قدمي من التعب، سقطت على الأرض، وخلت أنني لن استطيع النهوض، ولكنني بإرادة حديدية نهضت من جديد وخطوت خطوتين أخريين حتى وصلت إلى تلك الحاويات، رفعت الغطاء عن إحداها وتشممت الرائحة، وابتسمت بظفر وأنا أنظر إلى اللوحة، وأخاطبها قائلا:

- استعدي للمحرقة أيتها اللعينة.

فجأة انطلقت تلك الصرخات المفزعة، كانت لتروعني وتشيب شعري في ظروف أخرى، ولكن عندما تكون على مسافة خطوات قليلة من الموت لا شيء يمكنه أن يفزعك ... ومع تلك الصرخات الشيطانية المفزعة تحررت الشياطين من سطح اللوحة وأخذت تجول في المكان، كانت تتحرك في دوائر أنا في مركزها، تقترب مني، تصرخ في أذني، تمس جسدي فأشعر بلمستها كقضمة الصقيع، سقطت على الأرض مجددا، وقد غامت المرئيات أمام عيني، أشعر أنني سأغيب عن الوعي، سأغيب إلى الأبد ... فجأة جاءتني تلك الفكرة، وكأن حالتي تلك قد جعلت عقلي أكثر صفاء، وقدرة على التفكير، أعرف الآن كيف أتخلص من تلك اللعينة! سأحرق المكان ولكن ذلك لن يكون كافيا، فقد جربت النار معها من قبل، ولكنني الآن امتلك خطة أخرى.

بيدين مرتعشتين استندت عليهما، واعتدلت من جديد، قبل أن انهض من سقطتي، حملت إحدى الحاويات وأخذت أفرغ ما بها في المكان، ثم أشعلت ولاعتي وألقيتها على السائل الحارق فاشتعلت النيران في المكان في ثانية واحدة، قبل أن أتوجه إلى لوحتي الملعونة، وأنا أتجاهل كل تلك الشياطين التي تحوم، وتتقافز، حولي، وفي طريقي التقطت أنبوبين من الألوان، ونزعت غطائهما بأسناني بعنف، وبصقتهما في جانب من المكان الذي توهج تماما بلظى النيران، التي تلفح وجهي وجسدي وتحرقهما، لم أبالي بكل تلك الآلام، ولا بغياب الأوكسجين من الجو الذي يخنقني ... واصلت خطواتي الأخيرة، حتى أصبحت أمام اللوحة تماما، أفرغت أنبوبي الألوان على كفي، وأنا أتحدث إلى اللوحة قائلا بكراهية:

- !ما رأيك في أن أضيف مشهدا جديدا إلى نسيجك، ايتها الملعونة

وبسرعة أخذت أمسح بكل تلك الألوان التي في كفي على نسيج اللوحة، وأنا أحرك يدي حركات دائرية، كنت أبذل اقصى جهدي لأخفي كل معالمها تحت تلك البقع اللونية التي أصنعها بيدي في حماس ... تغيرت صرخات الشياطين، وبدت مرعوبة، متألمة، وهي تحاول العودة إلى اللوحة فتصطدم بالغطاء اللوني الذي صنعته فوقها، فتسقط على الأرض لتلهمها النيران ... استمر ذلك الوضع الجنوني للحظات أخرى حتى التهمت النيران كل الشياطين، صرخت في ظفر:

- !لقد هزمتك إيتها اللعينة

فجأة خرجت يدان مخلبيتان من اللوحة وسحبتني إلى داخلها، فوجدت نفسي أسقط في بئر عميق مظلم، بلا قاع.

Moroccan Writers ©

***

وصلت (رانية) إلى المكان فصعقتها تلك النيران التي تلتهمه بسرعة كبيرة، لحظات ووصل المحقق المتحمس، ومعه رجال الشرطة، وسيارتي إطفاء ... بعد ساعة تمكنت الجهود من السيطرة على النيران وإطفاؤها حتى آخر شرارة ... كانت النيران قد أتت على جميع اللوحات وأدوات الرسم التي تفحمت جميعها، بحثوا جيدا في المكان، فلم يعثروا على أي أثر (لمسعود) ولا للوحته الملعونة، لقد اختفيا كلاهما، ... أو اكلتهما النيران حتى آخر ذرة

***

لا لم تكن تلك النهاية التي توقعتها ... أنا راوي القصة إذا كنتم قد لاحظتم ذلك بالفعل من أول سطر فيها، وراوي القصة لا يموت في قصته، هذا شيء منطقي بالطبع، بالتأكيد لم أمت رغم أنني اقتربت من ذلك كثيرا، ليتني مت! كان هذا سيضع حدا لبؤس حياتي، ولكن هاهي حياتي البائسة تتواصل داخل ذلك العالم المرعب الذي صنعه ذلك الرسام المخبول داخل لوحته الملعونة، بعد أن نجح في جذبي وأسري إلى داخلها، لأعيش فيها للأبد، بلا أي أمل في النجاة، ولا الخروج لقد نجحت بالفعل في غلق تلك البوابة، وأوقفت لعنتها عن عالمي، ولكن هذا قضى أيضا علي أي أمل لي في العودة إليه، قد أعيش هنا آلاف السنين، في ذلك العالم اللعين، مع ذلك المجنون وشياطينه الخبيثة ... يخفف عني العذاب أحيانا، تلك اللحظات التي أفكر فيها في حبيبتي (رانية) وفستانها الأخضر، وعينيها الخضراوين كلون توكتها التي تعقص بها شعرها الأشقر الذهبي .

Moroccan Writers ©